اما اهل الحجى والنهى فانهم مازالوا يعدونه كاملا منذ رفع الله منار الاسلام ولكنهم يعدونه محروما محدودا فقال اما
انه سيليها بعد هياط ومياط ثم تزل فيها قدمه ولا يقضي منها اربه ولتكونن شاهدا ذلك يا عبد الله ثم يتبين الصبح
لذي عينين وتعلم العرب صحة راي المهاجرين الاولين الذين صرفوها عنه بادي بدء فكيف اذا كم بعدي يا عبد الله
ان الحرص محرمة وان دنياك كظلك كلما هممت به ازداد عنك بعدا نقلت هذا الخبر من امالي ابي جعفر محمد بن
حبيب رحمه الله ونقلت منه ايضا ما رواه عن ابن عباس قال تبرم عمر بالخلافة في آخر ايامه وخاف العجز وضجر من سياسة
الرعية فكان لا يزال يدعو الله بان يتوفاه فقال لكعب الاحبار يوما وانا عنده اني قد احببت ان اعهد الى من يقوم
بهذا الامر واظن وفاتي قد دنت فما تقول في علي اشر علي في رايك واذكر لي ما تجدونه عندكم فانكم تزعمون ان امرنا
هذا مسطور في كتبكم فقال اما من طريق الراي فانه لا يصلح انه رجل متين الدين لا يغضي على عورة ولا يحلم عن زلة
ولا يعمل باجتهاد رايه وليس هذا من سياسة الرعية في شيء واما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الامر ولا ولده وان وليه
كان هرج شديد قال وكيف ذاك قال لانه اراق الدماء فحرمه الله الملك ان داود لما اراد ان يبني حيطان بيت
المقدس اوحى الله اليه انك لا تبنيه لانك ارقت الدماء وانما يبنيه سليمن فقال عمر اليس بحق اراقها قال كعب وداود
بحق اراقها يا امير المؤمنين قال فالى من يفضي الامر تجدونه عندكم قال نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة واثنين من
اصحابه الى اعدائه الذين حاربهم وحاربوه وحاربهم على الدين فاسترجع عمر مرارا وقال اسمع يا ابن عباس اما والله
لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشابه هذا سمعته يقول ليصعدن بنو امية على منبري هذا ولقد اريتهم
في منامي ينزون عليه نزو القردة وفيهم انزل وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في
القرآن وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة قال قال لي عمر يوما يا مغيرة هل
ابصرت بهذه عينك العوراء منذ اصيبت قلت لا قال اما والله ليعورن بنو امية الاسلام كما اعورت عينك هذه
ثم ليعمينه حتى لا يدري اين يذهب ولا اين يجيء قلت ثم ماذا يا امير المؤمنين قال ثم يبعث الله تعالى بعد مائة واربعين
او بعد مائة وثلاثين وفدا كوفد الملوك طيبة ريحهم يعيدون الى الاسلام بصره وشبابه قلت من هم يا امير المؤمنين
قال حجازي وعراقي وقليلا ما كان وقليلا ما دام وروى ابو بكر الانباري في اماليه ان عليا عم جلس الى عمر في المسجد
وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه الى التيه والعجب فقال عمر حق لمثله ان يتيه والله لولا سيفه
لما قام عمود الاسلام وهو بعد اقضى الامة وذو سابقتها وذو شرفها فقال له ذلك القائل فما منعكم يا امير المؤمنين عنه
قال كرهناه على حداثة السن وحبه بني عبد المطلب قلت سألت النقيب ابا جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد وقد قرأت
عليه هذه الاخبار فقلت له ما اراها الا تكاد تكون دالة على النص ولكني استبعد ان تجتمع الصحابة على دفع نص
رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه كما استبعد من الصحابة على رد نصه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما
من معالم الدين فقال ره ابيت الا ميلا الى المعتزلة ثم قال ان القوم لم يكونوا يذهبون الى انها من معالم الدين وانها
جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلوة والصوم ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الامور الدنيوية ويذهبون لهذا
مثل تامير الامراء وتدبير الحروب وسياسة الرعية وما كانوا بهذا الامر وامثال هذا من مخالفة نصوصه عليه السلم
اذا رأوا المصلحة في الاسلام في غيرها الا تراه كيف نص على اخراج ابي بكر وعمر في جيش اسامة ولم يخرجا لما رأيا ان في
مقامهما مصلحة للدولة والملة وحفظا للبيضة ودفعا للفتنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف
وهو حي في امثال ذلك فلا ينكره ولا يرى به باسا الست تعلم انه نزل في غزاة بدر منزلا على ان يحارب قريشا فيه
فخالفته الانصار وقالت له ليس الرأي في نزولك هذا المنزل فاتركه وانزل في منزل كذا فرجع الى آرائهم وهو الذي
قال للانصار عام قدم الى المدينة لا تؤبروا النخل فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تثمر حتى قال لهم انتم
اعرف بامر دنياكم وانا اعرف بامر دينكم وهو الذي اخذ الفداء من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع الى تصويب رأيه
بعد ان فات الامر وخلص الاسرى ورجعوا الى مكة وهو الذي اراد ان يصالح الاحزاب على ثلث تمر المدينة فرجعوا عنه

فاتى سعد

فاتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ذلك وخالفاه فرجع الى قولهما وقد كان قال لابي هريرة اخرج فناد في الناس من قال لا اله الا
الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة فخرج ابو هريرة فاخبر عمر بذلك فدفعه في صدره حتى وقع الارض وقال لا تقلها فانك ان تقلها
يتكلوا عليها ويدعوا العمل فاخبر ابو هريرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال لا تقلها وخلهم يعملون فرجع الى قول
عمر وقد اطبقت الصحابة اطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كاسقاطهم سهم ذوي القربى
واسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الامران ادخل في باب الدين منهما في باب الدنيا وقد عملوا بآرائهم امورا لم يكن
لها ذكر في الكتاب والسنة كحد الخمر فانهم عملوه اجتهادا ولم يحد رسول الله شارب الخمر وقد شربها الجم الغفير في زمانه
بعد نزول آية التحريم ولقد كان اوصاهم في مرضه ان اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر
من خلافة عمر وعملوا في ايام ابي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة وحولوا المقام
بمكة وعملوا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد فرجح
كثير من القياس على النص حتى استحالت الشريعة وصار اصحاب القياس اصحاب شريعة جديدة قال النقيب واكثر ما كانوا
يعملون بآرائهم فيما يجري مجرى الولايات والتامير والتدبير وتقرير قواعد الدولة وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول
وتدبيراته اذا رأوا المصلحة في خلافها كانهم كانوا يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا وكانهم كانوا فهموه
من قرائن احواله وتقدير ذلك القيد افعلوا كذا ان رأيتموه مصلحة قال فاما مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين وليس
بمتعلق بامور الدنيا وتدبيراتها فانه يقل جدا نحو ان يقول الوضوء شرط في الصلوة فيجمعوا على رد ذلك ويجيزوا الصلوة
من غير وضوء او يقول صوم شهر رمضان واجب فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوالا عوضا عنه فانه بعيد
اذ لا غرض لهم فيه ولا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه عليه السلم والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم
ان العرب لا تطيع عليا عم فبعضها للحسد وبعضها للوتر والثار وبعضها لاستحداثهم سنه وبعضها لاستطالته
عليهم ورفعه عنهم وبعضها كراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد وبعضها للخوف من شدته وصلابته وشدته
في دين الله وبعضها للرجاء تداول قبائل العرب الخلافة اذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حي لوصولها
اليها ثابتا مستمرا وبعضها ببغضه لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وهم المنافقون من الناس
ومن في قلبه زيغ من قلوبهم شك في امر النبوة فاصفق الكل اصفاقا واحدا على صرف الامر لغيره فقال رؤساؤهم
بانا نخاف الفتنة وعلمنا ان العرب لا تطيعه وتتركه وتأولوا عند انفسهم النص ولا ينكر النص وقالوا انه نص ولكن
الحاضر يرى ما لا يرى الغائب والغائب قد يترك لاجل المصلحة الكلية واعانهم على ذلك مسارعة الانصار وادعاؤهم
الامر واخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض لينصبوه خليفة زعموا واختلط الناس وكثر الخبط وكادت
الفتنة ان يضطرم نارها فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا ابا بكر وكانت فلتة كما قال قائلهم وزعموا انهم اطفأوا
بها نائرة الانصار فمن سكت من المسلمين واغضى ولم يتعرض فقد كفاهم امر نفسه ومن قال سرا وجهرا ان فلانا
قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره او نص عليه او اشار اليه سكتوه في الجواب بانا بادرنا الى عقد البيعة مخافة الفتنة
واعتذروا اليه ببعض ما تقدم اما انه حديث السن او تبغضه العرب لانه وترها وسفك دماءها او لانه صاحب
زهو وتيه او كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد بل قالوا في العذر ما هو اقوى من هذا واوكد قالوا ابو بكر اقوى
على هذا الامر منه لا سيما وعمر يعضده ويساعده والعرب تحب ابا بكر ويعجبها لينه ورفقه وهو شيخ مجرب للامور
لا يحسده احد ولا يحقد عليه احد ولا يبغضه احد وليس بذي شرف في النسب فيشمخ على الناس بشرفه ولا ذي قربى
من الرسول عليه السلم فيدل بقربه ودع ذا كله فانه فضل مستغنى عنه قالوا لو نصبنا عليا ارتد الناس عن الاسلام
وعادت الجاهلية كما كانت فايما اصلح في الدين الوقوف مع النص المفضي الى ارتداد الخلق ورجوعهم الى الاصنام و
الجاهلية ام هذا قال بل العمل بمقتضى الاصلح واستبقاء الاسلام واستدامة العمل بالدين وان كان فيه مخالفة النص
قال ره وسكت الناس عن الانكار لانهم كانوا متفرقين فمنهم من هو مبغض شانئ لعلي عم فالذي تم من صرف الامر عنه قرة

وكانوا يعملون ما يغلب

وهذه

نخشى

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)